لارادته وسلطانه الخيالى، فلا غرو أن يتجاوز حدّ الاعتدال، ويقذفهم بجام غضبه، فيقول في بني عمه ما لا يقال في ذوى القربى، تلك كانت شنشنته، فقد بلغ من أمره أنه ورد المدينة المنورة قاصداً الوالى عليها - عثمان بن حيان المرى - في عهد الوليد بن عبدالملك يحدوه الامل في حسن الوفادة، ثم لم ينشب أن جرت بينهما مقاولة في خطبة ابنته له، واستحالت الملاطفة بينهما مشاكسة، وبعد اصراره، على الاباء أمر الوالى بوجىء عنقه وقال له: أنت عربى أحمق جاهل، فخرج عقيل مكبوتاً مهموماً، وقال:

كنا بني غيظ رجالا فأصبحت *** بنو مالك غيظاً وصرنا كمالك

لحا اﷲ دهراً ذعذع المال كله *** وسوّد أبناء الاماء الفوارك(1)

ان عقيلا من غيظ بن مرة، وعثمان من مالك بن مرة، ربطت بينهما وشيجة القرابة، وباعدت بينهما الاقدار، فعثمان والي المدينة المنورة، وناهيك بها ولاية ومجداً، لكن النعرة في عقيل أنسته قدره، وأخرجه غضبه عن حد الاعتدال، فتلمس المثالب المعفاة، ونبش المدفون وأقذع في الهجاء، ووصم بني مالك فصيلة عثمان، ثم عثمان نفسه، بماترى في البيتين:

ففى أول البيتين نفى الرجولية عن بني مالك أول الزمن، فقد كانت لغيظ، والدهر قلب ما أقساه وما أظلمه، إذ سادت آخر الزمن بنو مالك، وانحطت بنو غيظ، وفي ثانيهما أن الدهر معوان للهجناء - قالوا قد مس عثمان أو أباه أسر- لقد نال عقيل من عثمان في أعز مايحرص عليه من سؤدد وكرامة في نفسه وقصيلته، وما ذاك الا لأنه أخرق مائق لا يبالى القول في كل ما يعنى له غير مكترث بما يستلزمه من تبعات، عرض له ما أشخصه إلى عمر بن عبدالعزيز رضي اﷲ عنه، وأدار معه القول فيما جاء له فبدرت بوادره وانفلت لسانه، ولما تجانف عن جادة القول معه تلطف له ليخفف من غلوائه، ويقيم من صلفه، فقال له:

---

(1) الاغانى ج 11 ص 82 (ساس) واللالى ص 45 والعقد الفريد ج 3 ص 415. وذعذع المال: بدده وفرقه.